اهله وتمثل الذكريات بشتى اشكالها . وهو يحن اليها اذا غادرها ويتمنى العودة اليها واعدا اياها بأجمل الزخارف والمحبة القلبية . ويتضح ذلك في هذه الاغنية الشعبية التي يسجلها د. كنعان :

يـا دارنـا يـا ام الحجـر الاحمـر	احنا رحلنا وغـيرنا اتوطن
يـا دارنـا يـا ام الحجـل والطوق	يا عاليه وامشرعة لفـوق
يـا دارنـا يللـي اربينـا فيكـي	لا عادت تآوينا ولا اتآويكي
يـا دارنـا ان نزلوك عربـان غيرنـا	اتوصيهوم يا دار حتى نعاود
لاجيـب لـك يا دار جملـين نيلـة	وانقشك يا دار بنقش العرايس

ويستعرض الدكتور كنعان العديد من المعتقدات الشعبية المتعلقة بالبيت . يقـول ان هناك معتقدا سائدا في الوسط الشعبي الفلسطيني مؤداه ان كل بيت تسكنه مخلوقات خارقة للعادة ... وتوجد هذه المخلوقات على الاخـص في البيوت الخالية والخربـة والحديثة غير المأهولة . ولذلك يفترض في كل ساكن جديد ان يسترضي تلك المخلوقات . وتبدأ اجراءات ترضية هذه الكائنـات ومحاولة كف شرهـا منذ البدء في البناء بعـد الاساس . اذ يجب اذ ذاك ذبح ذبيحة كتقدمة للارواح ساكنة المكان تسمى « ذبيحـة الاساس » . ويستدعي المسيحيون الخوري ليبارك الاساس ويلقي عليه مياها مقدسة . وعند وضع حجر الاساس يضع صاحب البيت تحت الحجر قطعة عملة فضية باعتبـار أن ذلك يشكل فألا حسنا يدل على « الفضا » اي النور . وعندما يعقـد البناء شاشية باب البيت فانه يعلق على الحجر هناك خرزة زرقاء ، وثوما وقطعة من الشب وبيضة مفرغة . وهناك من يعلق شكل يد بشرية او صليبا . وهناك ايضا ذبيحة العقد والتي تذبح عند انهاء العمل في السقف . وقد اعتاد البدوي ايضا ان يذبح ذبيحة كلما نصب خيمته في مكان جديد للاسباب والمعتقدات نفسها السالفة الذكر .

ويروي الدكتور كنعان أنه كان هناك معتقد قديم مؤداه انه لن يخلد البناء الا اذا دفن في الاساس انسان او جزء من انسان !! وخاصة اذا كان البناء حماما عاما او عمـارة ذات صلة بالجمهور(٦) . وقد حلت فيما بعد عادة ذبـح حيوان بدلا من تلك العـادة . وهناك المعتقدات الشعبية ذات الاصل الاسلامي والتي تفرض على ساكن البيت الجديد أن يدعو شيخا ليقرأ القرآن او يدعو الدراويش لاقامة الحضرة وهذه العادة ما تـزال موجودة حتى الان . ويعلق الناس راية بيضاء عـلى ظهر البيت وذلـك تيمنا برايـة الرسول محمد (ص) البيضاء .

دراساته الاخرى

تعتمد دراسات توفيق كنعان على رصد المعتقدات الشعبية ومن هذه المعتقدات التي القى ثقله الى جانبها مسألة الثنائية في المعتقد الشعبي الفلسطيني . فهو يدرس النور ويقابله بالظلام(٧) . ومن هذا القبيل درس الثنائيات التاليـة : الخير والشر ، الابيض والاسود ، الملائكة والشياطين ، العالم العلوي والعالم السفلي ، الاله مقابل ابليس . وهو يعتقد ان دراسة ظاهرتي النور والظلام يمكن ان تؤدي الى نتائج كبيرة وتوضح مواقف جمة . وبعد ان يتحدث د. كنعان عن سبل الانارة الشعبية والمصابيح الساذجة ، وبعد أن يتحدث عن خوف الانسان البدائي من الظلام فانه يحشد عشرات الامثلة من الحياة الشعبية التي تتصل بموضوع . وذلك يذكرنا بالمنهج المشهور الذي اختطه سير جيمز فريزر في الدراسات الانثروبولوجية الذي يعتمد على دراسة فكرة معينة من خلال ايراد حشد هائل من الامثلة الموضحة لها في بيئات انثروبولوجية شتـى . ومن هذه الامثلة العديدة المتعلقة بمسألة النور والظلام رصد كل التعابـير الشعبية المتصلـة بكلمات : مصباح ، ضوء ، قمر ، شمع ... الخ وفي بعـض الاحيـان نحس بتشعب الموضوع واتخاذه مسارات شتى . وعلى سبيل المثال فانه عندما يتحدث عن الزيت